بسم الله الرحمن الرحيم

بك ألوذ

«رَبِّ أَعِنِّي وَلَا تُعِنْ عَلَيَّ...»

اللقاء العاشر

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله؛ صلى الله وسلَّم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

روى أبو داود والترمذي عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ -ﷺ- يَدْعُو: **«رَبِّ أَعِنِّي وَلَا تُعِنْ عَلَيَّ، وَانْصُرْنِي وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَامْكُرْ لِي وَلَا تَمْكُرْ عَلَيَّ، وَاهْدِنِي وَيَسِّرْ الْهُدَى لِي، وَانْصُرْنِي عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيَّ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي لَكَ شَاكِرًا، لَكَ ذَاكِرًا، لَكَ رَاهِبًا، لَكَ مِطْوَاعًا، لَكَ مُخْبِتًا، إِلَيْكَ أَوَّاهًا مُنِيبًا، رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي، وَاغْسِلْ حَوْبَتِي، وَأَجِبْ دَعْوَتِي، وَثَبِّتْ حُجَّتِي، وَاهْدِ قَلْبِي، وَسَدِّدْ لِسَانِي، وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ صَدْرِي»**.

(رهَّاباً): الرهبة، الخوف، والفزع.

(مخبتاً): الخاشع، والمخلص في خشوعه.

(أواهاً):المتضرّع، والبكّاء، وقيل كثير الدعاء.

(منيباً):التائب، والراجع إلى الله في أموره.

(حوبتي):الحوْبةُ، والحوبُ: الإثم، والذنب.

(حجتي): الحجة: الدليل، والبيّنة.

(سخيمة قلبي): غلّ القلب، وحقده.

✍هذا الدعاء العظيم يعد من الأدعية الجامعة، وقد اشتمل على اثنين وعشرين سؤالاً ومطلباً هي من أهم مطالب العبد وأسباب صلاحه وسعادته في دنياه وأخراه، فينبغي الاهتمام به وملازمة التضرع به إلى الله -ﷻ-، وقد ذكر الحافظ البزار في ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية أنّ هذا الدعاءَ كان غالبَ دعائه رحمه الله.

فأول ذلك قوله: «**رب أعني**» وهو طلب العون من الله، أي: وفقني لذكرك وشكرك وحسن عبادتك، وفي مقابلة الأعداء أمدَّني بمعونتك وتوفيقك، كما قال النبي -ﷺ- لمعاذ رضي الله عنه : ((أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لاَ تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاَةٍ تَقُولُ اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ)) رواه أبو داود، وروى أحمد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- عَنِ النَّبِيِّ -ﷺ- قَالَ : ((أَتُحِبُّونَ أَنْ تَجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ ؟ قُولُوا : اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى شُكْرِكَ ، وَذِكْرِكَ ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ)).

فقوله (**أعني**): أي أطلب منك العون، والتوفيق لطاعتك، وعبادتك على الوجه الأكمل الذي يُرضيك عنّي، وأطلب منك العون على جميع الأمور الدينية والدُّنيوية، والأخروية، وفي مقابلة الأعداء أمدّني بمعونتك وتوفيقك.

■أعني على كل خير : الطاعة والذكر والشكر وحسن العبادة ، وأعني على نفسي الأمارة بالسوء حتى لا تهلكني ، وأعني على السلامة من المعاصي والبعد عنها فلا تكلني إلى نفسي.

والثاني: قوله «**ولا تعن عليَّ**»؛ أي: لا تغلّب عليّ من يمنعني من طاعتك؛ من النفس الأمارة بالسوء، ومن شياطين الإنس والجن، وشواغل الدنيا وملهياتها.

والثالث: قوله «**وانصرني**» وهو طلب النصرة، وهي الغلبة، أي في كل أحوالي، [وانصرني] على الكفار أعدائي، وأعداء دينك، وقيل انصرني على نفسي الأمّارة بالسوء؛ فإنها أعدى أعدائي ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾، ولا مانع من إرادة الجميع؛ لأنه -ﷺ- لم يُخصِّص نوعاً معيناً، والأصل إبقاء العموم على عمومه.

✍فتضمّن هذا الدعاء سؤال الله تعالى النصر والظفر على كل الأعداء، سواء كان العدوُّ خارجيًّاً، أو داخليًّاً.

والرابع: قوله «**ولا تنصر عليَّ**»؛ ولا تجعلني مغلوباً، فتسلّط عليَّ أحداً من خلقك، ولا تنصر النفس الأمارة بالسوء عليَّ، فأتّبع الهوى وأترك الهدى.

والخامس : قوله «**وامكر لي**» المكر هو الخداع، وهو من الله إيقاع بلائه بأعدائه من حيث لا يشعرون.

✍أي: الحق مكرك بأعدائي وارزقني الحيلة السليمة والفكر القويم للسلامة من شرهم ودفع كيدهم، بحيث لا يشعر العدو بما هديتني إليه من سبل دفع كيدهم وعدوانهم.

والسادس: قوله «**ولا تمكر عليَّ**» أي: ولا تهدِ عدويّ إلى طريق دفعه إياي عن نفسه، ولا تعاملني بسوء نيتي، فأغترّ وأتجاوز الحد من حيث لا أشعر فأهلك.

والسابع: قوله «**واهدني**» أي: دلني على أبواب الخيرات، ومُنَّ عليَّ بالعلم النافع، وبصِّرني بعيوب نفسي.

الهداية نوعان:

أ – هداية دلالة وإرشاد.

ب – وهداية توفيق وتثبيت، والعبد حينما يسأل الله تعالى الهداية ينبغي أن يستحضر هذه المعاني، فيقول: دلّني، ووفّقني لطرق الهداية والمعرفة، ووفّقني لها، ولا أزيغ عنها حتى ألقاك، فتضمّن هذا السؤال التوفيق إلى فعل الخيرات من الأعمال الصالحات، والعلم النافع، واجتناب المحرّمات.

والثامن: قوله «**ويسّر الهدى لي**» أي: وسهّل لي اتباع الهداية وسلوك طريقها، وهيء لي أسباب الخير، حتى لا أستثقل الطاعة ولا أغفل عن العبادة.

والتاسع: قوله «**وانصرني على من بغى عليَّ**» أي: وانصرني على من ظلمني وتعدّى عليَّ، وهذا تخصيص بعد قوله أولاً (وانصرني ولا تنصر عليّ) ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فقوله: (وانصرني على من بغى عليّ) دعاءُ عادلٍ لا دعاءُ معتد؛ يقول: انصرني على عدوي مطلقاً». وهو يدلّ على أهمية

النصرة، والظفر على من اعتدى وبغى بغير حقّ؛ لما في ذلك من سرور القلب، وطمأنينة النفس، وراحة البال من وقاية الأعداء، والثقة بقدرة اللَّه تعالى ونصره.

والعاشر: قوله «**اللهم اجعلني لك شاكراً**» بعد: أن توسَّل إليه تعالى فيما ينفعه في تعامله وسيره مع خلقه، شرع في التوسل إلى اللَّه تعالى فيما ينفعه ويقرّبه، ويصلح أحواله مع عبادته لربه تعالى، وأن هذه المطالب هي الأعظم والأهمّ عنده، كما دلّ على ذلك صيغ المبالغة، وتقديم الجار والمجرور، فقال: (اللَّهم اجعلني لك شكَّاراً): أي كثير الشكر، كما تفيده صيغة المبالغة في قوله: (شكَّاراً)، أي اجعلني كثير الشكر في السرّاء والضرّاء في القول، والعمل، وفي السرّ، وفي العلن على النعماء والآلاء، وفي تقديم الجار والمجرور (لك) للدلالة على الاختصاص، أي أخصّك بالشكر؛ لأنك خالق النعم، ومعطيها، سأل اللَّه التوفيق إلى الشكر؛ لأن به تدوم النعم.

✍أي: ألهمني شكرك على نعمائك وآلائك عليّ، واجعلني كثير الشكر لك على نعمائك العظيمة ومننك الجسيمة وعطاياك التي لا تعد ولا تحصى.

والحادي عشر: قوله «**لك ذاكراً**» أي: كثير الذكر و المواظبة عليه أي كثير الذكر لك في كل الأوقات، والأحوال قائماً، وقاعداً، وعلى جنب في الصباح، والمساء، وفي السر والعلن، وفي سؤاله تعالى التوفيق إلى الذكر؛ لأنه هو أفضل الأعمال. كما قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا}[الأحزاب:41] ، وقال تعالى: {وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا}[الأحزاب:35] .

والثاني عشر: قوله «**لك راهباً**» أي خائفاً منك في كل أحوالي: في ليلي ونهاري، في سفري وفي حضري، وفي الغيب والشهادة، خائفا منك في السرّاء والضرّاء.

والثالث عشر: قوله «**لك مطواعاً**» أي: كثير الطوع، وهو الانقياد والامتثال والطاعة لأوامرك، والبعد عن نواهيك. ملازما لطاعتك منقادًا لشرعك ممتثلا لأمرك.

والرابع عشر: قوله «لك مخبتاً» من الإخبات، وهو الخشوع والتواضع والخضوع، والمعنى: اجعلني لك خاشعاً متواضعاً خاضعاً. يقال: "أخبت إلى الله" اطمأن إليه وخشع له وخضع، وعلامته: أن يذل القلب بين يدي ربه إجلالاً وذلاً له وانكساراً. قال -ﷻ- : {وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (34) الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ}[الحج:34-35] فالمخبت هو الذي انكسر قلبه وخضع وذل لله فأقبل على طاعة الله والإنابة إليه سبحانه، قال الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}[هود:23] أي ذلوا وانكسروا لله و خضعوا بين يديه جل في علاه.

والخامس عشر: قوله «إليك أوّاهاً منيباً» الأوّاه : هو كثير الدعاء والتضرع والبكاء للَّه عز وجل، والمنيب : التائب الراجع إليك من الذنوب والخطايا... وتقديم الجارِّ والمجرور في هذا وفي ما قبله للاهتمام والاختصاص وتحقيق الإخلاص. أي: أخصّك وأخلص لك وحدك.

سأل اللَّه تعالى التوفيق إلى روح العبادات، وأزكاها، وأسماها، وأهمّها، للقيام بها على الوجه الأكمل، والأمثل، والأتمّ، وكما دلّت الصيغ (شكاراً، ذكاراً، رهاباً، مطواعاً...) على كمال الذُّل والعبودية لله تعالى، وأنه ينبغي للعبد أن يتوسّل إليه تعالى [بأسمائه الحسنى، وصفاه العلا، ويسأله] التوفيق إلى أفضل الأعمال من العبادات الخالصة له تعالى، فإن ذلك يرجع إليه بعظيم الثواب، ورفع الدرجات.

والسادس عشر: قوله «رب تقبل توبتي» أي: بجعلها صحيحة بشرائطها واستجماع آدابها؛ بأن توفقني أولا الى التوبة وأن أكون من أهلها، وأن تكون توبة نصوحا بحيث أكون فيها نادما على فعلي للذنوب وعلى تفريطي في جنب الله سبحانه، عازما على عدم العودة للذنوب مقلعًا عن الذنوب محاذرًا الوقوع فيها، فقوله تقبل توبتي أي وفقني للتوبة النصوح المقبولة عندك وتقبلها مني بقبول حسن.

والسابع عشر: قوله «واغسل حَوبتي» أي: وامح ذنبي وإثمي، وذكر الغسل ليفيد إزالته بالكلية.

والثامن عشر: قوله «وأجب دعوتي» أي: دعائي، وفقني للدعاء المستجاب، وهذا يتضمن سلامة الدعاء في نفسه، ويتضمن التوفيق لتحري أوقات الإجابة، ويتضمن السلامة من العدوان في الدعاء. ربي أجب كل دعواتي، واجعلها مقبولة عندك مستجابة [نافعة لي].

والتاسع عشر: قوله «**وثبّت حجتي**» الحجج هي البيِّنات والدلائل. أي: ثبت حُجحجي في الدنيا على أعدائك بالحجة الدامغة، وثبت قولي وتصديقي في الدنيا، والدعوة والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر بالأدلة البينات الساطعة، وثبّت قولي في الآخرة عند سؤال الملكين في القبر.

والعشرون: قوله «**واهد قلبي**»؛ إلى معرفتك، ومعرفة الحق والهدى والصراط المستقيم، وإلى كل خير ترضاه، فبهدايته تهتدي كل الجوارح، والأركان في البدن. اهد قلبي إلى الإنابة والخوف منك و محبتك، وتعظيمك والحياء منك و غير ذلك من أعمال القلوب العظيمة التي يكون فيها صلاح القلوب. والدعاء لهداية القلب من أعظم الدعاء وأهمه، لأن القلب أساس الصلاح أو الفساد، كما قال عليه الصلاة والسلام : ((أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ)).

والحادي والعشرون: قوله «**وسدّد لساني**» أي: صوّب وقوم لساني حتى لا ينطق إلاّ بالحق، ولا يقول إلا الصدق ، كما قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا}[الأحزاب:70]. وقال عليه الصلاة والسلام : ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت)) .

والثاني والعشرون: قوله «**واسلل سخيمة صدري**» أي: وأخرج سخيمة صدري، وهي غشه وغله وحقده وحسده ونحوها مما ينشأ من الصدر ويسكن في القلب من مساوئ الأخلاق.

فالزم هذا الدعاء المبارك الذي فيه جميع المنافع التي يحتاجها العبد في دينه، ومعاشه، ومعاده، فقد ذكر الحافظ عمر بن علي البزّار في ترجمته لشيخ الإسلام ابن تيمية أن هذا الدعاء كان غالب دعائه رحمه الله)

وهذا الدعاء قائمٌ على طلب الإعانة من الله أن يجعله ذاكرًا شاكرًا مخبتًا أواهًا منيبًا ، وهو أنفع الدعاء وأعظمه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: تأملت أنفع الدعاء فإذا هو سؤال العون على مرضاته، ثم رأيته في الفاتحة في إياك نعبد وإياك نستعين. وذلك أنَّ فقرَ المخلوق واحتياجَه لربِّه أمرٌ ذاتيٌّ له، لا وجود له بدونه، لكنَّ المخلوقين يتفاوتون في إدراك ذلك الافتقار أو العزوب عنه، والعبد فقيرٌ إلى الله من جهتين: من جهة العبادة، ومن جهة الاستعانة ،كما قال الله سبحانه: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}، فالعبد يفتقر إلى الله من جهة أنَّه معبودُه الذي يحبُّه حبَّ إجلال وتعظيم، وقلبُه لا يصلح ولا يفلح ولا يُسرُّ ولا يلتذُّ ولا يطيب ولا يسكن ولا يطمئن إلاَّ بعبادة ربِّه والإنابة إليه، ولو حصل له كلُّ ما يلتذُّ به من المخلوقات لَم يطمئن ولم يسكن، إذ فيه فقرٌ ذاتي إلى ربِّه من حيث هو معبودُه ومحبوبُه ومطلوبُه، وبهذا يحصل له الفرحُ والسرورُ واللذَّةُ والنِّعمةُ والسكونُ والطمأنينة. والعبد يفتقر إلى الله من جهة استعانته به للاستسلام لأمره والانقياد لحكمه والخضوع لشرعِه، إذ لا يقدر على تحصيل شيء من ذلك والقيام به إلاَّ إذا أعانه الله، وإذا خلى الله بينه وبين نفسه هلك كل الهلاك؛ ولهذا كان من دعائه -ﷺ- : (اللهم رحمتك أرجو ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله لا اله الا أنت) وبالله التوفيق، وهو وحده المستعان وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وأسأل الله -ﷻ- أن يوفقنا أجمعين لكل خير، وأن يصلح لنا شأننا كله، وأن لا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، إنه سميعٌ قريبٌ مجيب.

وصلى الله وسلَّم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.